{لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨}

قال الشيخ سليمان بن سليم الله الرّحيلي - حفظه الله تعالى - أثناء الكلام عن هذه الآية يوم 29-12-1437هـ:

[يصعُب علينا ما يشُقّ على الأمّة]

في هذه الآية فائدةٌ عظيمة للمؤمن عامّة، و لطالب العلم خاصّة، و هو أن يتشبّه بالنبيّ ﷺ في هذا. لَنْ نكونَ مثلَه أبدا ﷺ، لكنْ يُشرع لنا أن نتشبّه بالنبي ﷺ. فيصعب علينا ما يُعنت الأمة، ما يشُقّ على الأمة، لا نأخذه كأنّا نشرب الماء البارد. يصعُب علينا الأمر الذي يَشُقّ على أمة محمد ﷺ، و يُؤلِمنا في قلوبنا و نَسعى إلى إبعاد المشقّة عن الأمّة بالوجوه المشروعة.

[الرحمة في قلوبنا للأمة كلِّها، والغِلظة آخر الأدوية]

و إذا كانت الأمة اليوم تُعاني من اضْطِهَاد أعدائها و كثرةِ المُخَالفين للسنّة، فإنّه ينبغي أن لا نشُقّ على الأمّة بألفاظنا. نحرص على أن تكون ألفاظنا دالّةً على الخير، دالّةً على الحقّ، فاضحةً للباطل من غير مشقّة على الأمّة. نحرص على ذلك ما أمكننا.

نحرص على ما ينفع المؤمنين، و أعظم ما ينفع المؤمنين أن يَسْلَمُوا في دينهم، أن ندُلّهم على التوحيد، أن ندلّهم على السّنّة، أن نُحَذِّرَهم من الشّرك، أن نحذِّرَهم من البِدَع، أن ندلّهم على الأعمال الصالحة، و أن تكونَ في قلوبنا رحمة. من حُرم الرحمة، من حُرم الرفق، حُرم الخير كلّه. تكون في قلوبنا رحمة للأمّة كلِّها، ثمّ رحمة لطُلّاب العلم، ثمّ رحمة لِمَن استقاموا على الطّريق، و كانوا على صراط مستقيم.

الغِلظة عندنا آآآخرُ الأدوية، و هذا هو الشرع، و الله لا نَلْتَفِت إلى من يَعِيبُ علينا هذا الكلام، لأنّ هذا ديننُا، هذا فِعلُ النبي ﷺ.

تعلّمنا من النصوص، تعلّمنا من سيرة النبي ﷺ، تعلّمنا سيرة السلف الصالح أجمعين، تعلّمنا من علمائنا الذين تربَّينا على أيديهم - منهم من مات ومنهم من هو حيّ - على أنّ الغِلظة آآآخر الأدوية. نُقدِّم الرحمة، ونبدأ بالرحمة.

[ارحم أخاك ولو أخطأ عليك]

و يا ليتنا نرحم إخوانَنا حتى الذين يُخطئون علينا! ما أجملها من منزلة، و ما أزكاها من مرتبة! أن يَبْلغك عن أخيك أنّه قال فيك قولًا غليظًا لا تستحقّه، و مع ذلك ترحم أخاك أن تنطِق فيه بكلمة! و هذه مرتبة عَلِيَّة، أسأل الله أن يرزقنا الجِهاد لنَصِلَ إليها، لا سيّما في هذا الزمان الذي يُواجه فيه أهل السنة الحرب الشَّعْواء.

إذا أمكنك أن تُغْمِضَ عينيك عن أمورٍ تَصدُر من إخوانك لا تقدح في دينك - فإن كنت ترى أنّها تقدح في دينك ردَدْتَها بدون غِلظة، و لم تقدح في إخوانك الذين هم على الجادّة، ليس فيهم ما يُقدح فيهم سوى أنهم أغلظوا عليك مثلًا - إن أمكنك أن تُغمض و تتعامل بالرحمة، فهذه منزلة عليّة، نحتاج أن نُجاهد أنفسَنا فيها لنصلَ لهذه المرتبة، لنتشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم.

قد يبلغك عن أخيك كلامٌ، - و اليوم الحريصون على نقل الكلام الذي يُفسد القلوب كُثُر - يأتيك الواحد ويتحدَّث معك، ويسير معك، ويتالأّم معك، ويُجاريك في الكلام، ويتسحِثُّك على الكلام. فإذا أخذ شيئا طار به إلى أخيك، و قال: "رأيت فُلانًا ما يتقي الله"، يقول فيك كذا و كذا. اليوم هذا كثير موجود، فلنُفْسِد هذه الفِتنة.

و أنا أقول دائمًا: إذا بلغك شيء من أخيك، إن كان ما يحتاج إلى ردّ ولا كلام فاتركه كُلِّيةً، و إن كان يحتاج إلى ردّ فرُدّ بكلامٍ طيب يندفع به الشرّ. و إن حصل قبل أن تردّ أن تتصل بأخيك الذي تكلّم بهذا الكلام ليردّه هو، لكان هذا أحسن.

[استمِرّ في دعوتك إلى الله ما دُمت على السنة]

ثمّ لا تشتغل عن دعوتك. سِرْ في دعوتك إلى الله ما دُمت على الجادّة، ما دُمت على السّنّة، ما دُمت على طريقة أهل العلم.

يا إخوة، يا معاشر المؤمنين! نحتاج أن نتدبّر هذه الآية، أن نُحاول أن نتشبّه بالنبيّ ﷺ في هذه الصفات العظيمة. ما أحوجنا إلى هذا في كل زمان! و لكنّا في هذا الوقت العصيب أحوج. فلنتخلّق أيّها الإخوة بهذه الأخلاق. و لا يصُدَّنكم عنها أنَّ أُناسًا قد يُغلِظون عليكم، فإنّه ما تمسّك مُتمسّك بالحقّ إلا أوذي، لكنّ الشأن أن يصبر، و يستمرّ، و يسير على دعوة الحقّ. و لو لَمَحَ باطلًا - و لو صغيرًا - في كلامه هو فَهِمَهُ، أو أنّ أحدًا - و لو كان عدوًّا له و ليس أخًا - أشار إليه في كلامه، رجع و أناب إلى الله، و قال "أستغفر الله هذا الكلام باطل، هذه الكلمة باطل، هذا المعنى الذي أشرتُ إليه باطل" - يرجع إلى الله. و ما أحوج الدعوة إلى هذا!

أسأل الله عزّ وجلّ أن يرزُقنا الصدق في المجاهدة حتّى ننالَ هذه المرتبة العَلِيَّة.